تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوى

أدعياء الأدب فى الصحافة اليومية :

يأخذ على بعض القراء هذا العنف الذى ألق به الحياة الأدبية فيما أكتب من تعقيبات ؛ والواقع أننى لا ألجأ إلى هذا الاتجاه حباً فيه ولا ميلاً إليه ، ولكن الحياة الأدبية هى التى تدفعنى دفعاً إلى أن أسلك هذا الطريق وترغمنى إرغاماً على أن أسير فيه ! وما ذنبى إذا كنت أقع على أشياء تجافى الحق والذوق ، وتصدم الخيال والواقع ، وتخالف منطق الحياة والأحياء ؟! وما ذنبى إذا مددت عينى إلى صحيفة من الصحف أو مجلة من المجلات فرأيت ناقداً يكتب فى غير مجاله ، أو أديباً يطمس الحقائق بسخف خياله ، أو شاعراً يفرض شعره على الناس وهو محروم من نعمة الشعور ؟! ...

يا من تأخذون على العنف فى معالجة القضايا الأدبية ، تعالوا واقرأوا معى هذه الكلمات ؛ إنها من مقال كتبه فى «المصرى» الأستاذ عبد الرحمن الخميسى تحت عنوان « لمسة القلم » .. اقرأوها معى لتصلوا إلى أى حد تثيرنى بعض الأقلام حين تتناول مشكلات الأدب والفن هذا التناول الذى يبعث على الضحك والعجب والإشفاق ! يقول الأستاذ الخميسى :

« ألم تبدل موسيقى فاجنر الألمانى اتجاه الحياة فى ألمانيا تبديلا عظيما ؟ إن فاجنر الفرد الواحد ، الذى تغلغلت موسيقاه فى نفوس الألمان والذى طبعت أنغامه بوحشيتها وقوتها روح الشعب الألمانى ، والذى حفزت ألحانه الناس إلى الاستعلاء وإلى التحليق ، هذا الفرد الواحد كان يكتب بقلم موسيقاه حروفاً سماوية على الورق ، ثم يشعل بهذه الحروف حين يمزجها الأوركسترا أرواح الملايين ويبهرها ، ويجلوها ، ويرتفع بها إلى عليين ! .. كانت موسيقى فاجنر الأفق المجيد الذى استنزل منه نيتشه الشاعر الفيلسوف أروع قصائده وأبدع أغانيه ، وكانت هى الأفق المجيد الذى استلهمه فاجنر صورة الإنسان الأعلى . وهكذا ترى أن موسيقى فاجنر هى التى فتقت أكمام العبقرية فى نيتشه ، وهى التى مهدت الطريق للمذهب النازى .. الخ » !

بحرة قلم فتقت موسيقى فاجنر أكمام العبقرية فى نيتشه ... من أين جاء الكاتب بهذا الرأى الذى يذوب خجلا أمام الحقيقة ؟ لا أدرى ولا المنجم يدرى كما يقول المازنى ! يبدو أن موجة الإعجاب بسحر هذا التعبير « فتقت أكمام العبقرية » هى التى طغت برنينها العذب على جوهر الواقع فشوهته فى غفلة من أعين الرقباء !

إن المثقفين فى كل مكان يعلمون أن موسيقى فاجنر قد لقيت من قلم نيتشه أعنف وأبشع ما لقيته موسيقى فنان من قلم فيلسوف ! من يصدق أن فاجنر قد فتق أكمام العبقرية فى نيتشة ، نيتشة الذى رمى موسيقاه بكل نقيصة ، وأفاق فنه من ألوان الهدم والسخرية ما أفاق ، ورفع فى وجهه معول التدمير يهوى به فى ضربات قاسية لا تعرف ليناً ولا هوادة ؟!

فاجنر فى رأى نيتشة مثال فذ للشخصية المنحلة ، وموسيقى فاجنر فى ذوق نيتشة نموذج صادق للموسيقى المريضة ، وفن فاجنر فى ميزان نيتشة هجين تختلط فيها الشعوذة بالجنون ! .. إن فاجنر كما يقول نيتشة : « لا يستطيع أن يهز بموسيقاه إلا أعصاب النساء ، وهكذا تفعل الموسيقى المريضة ! إن فنه يستند إلى دعائم زائفة لا يمكن أن يرضى فنها إلا كل منهوك القوى منحل الشخصية محطم الأعصاب .. إن الفيلسوف الرابض بين جوانحى ليثور على كل ما هو مريض ومنحل ! إن القدرة على خلق فن منحط أهون بكثير من القدرة على خلق فن رفيع ! ومن هنا استطاع فاجنر أن يرضى الأذواق الفاسدة ، الأذواق (الفاجنرية) المنحرفة ! .. إن هذا العصر الذى نعيش فيه ليدين بشروره وآثامه إلى شخصية فاجنر ، هذا المثلث الهدام » !

هذه هى الموسيقى التى قال فيها نيتشة ما قال ، وقال عنها عبد الرحمن الخميسى إنها كانت الأفق المجيد الذى استنزل منه نيتشة أروع قصائده وأبدع أغانيه ! ... إننى أنصح قراء « الرسالة » أن يصدقوا نيتشة ، أما قراء « المصرى » فلا بأس من أن يصدقوا عبد الرحمن الخميسى إذا قال لهم إن موسيقى

فاجنر هى التى خلقت عقلية هتلر وفون مولتكه وبسمارك . . . وفريدريك الأكبر !!

ترجمة تحتاج إلى تصحيح :

تحدث الدكتور عبد الرحمن بدوى فى عدد « شباط » من مجلة الأديب اللبنانية عن مسرحية الأيدى القذرة « Les mains Sales » للكاتب والفيلسوف الفرنسى جان بول سارتر . ولقد استوقفنى ما جاء بمقاله من ترجمة خاطئة لبعض كلمات رأيت أن أصححها ، حتى لا تبعد الشقة بين أصلها فى الفرنسية وبين ما يقابلها فى العربية :

ترجم الدكتور بدوى هذه الكلمات « la putain respectueuse » وهى عنوان مسرحية لسارتر « بالعاهر المهيبة » ؛ وهنا يبدو شىء من الانحراف فى الترجمة لا يستقيم معه المعنى سواء أكان منسوباً إلى عنوان المسرحية أم كان منسوبا إلى الفكرة التى بنيت عليها ! . . . إن الهابة كما يدل عليها موضوع المسرحية وكلمة « respectuéuse » لا تنسب إلى « العاهر » وإنما تنسب إلى المحيطين بها غشاق الجسد ، أولئك الذين كانت ترحب بهم وتحتفى بمقدمهم ؛ وإذن تكون الترجمة الصحيحة هى « العاهر الحفية » . أما « العاهر المهيبة » فلا يقابلها فى الفرنسية غير هذه الكلمات :

« La putain respectable » .

وترجم الدكتور بدوى عنوان مسرحية أخرى لسارتر ترجمة خاطئة أيضاً وهى مسرحية « La nausée » ، حيث قابلها بكلمة « الغرف » مع أن ترجمتها الدقيقة هى « الغثيان » . . والفارق بين الترجمتين بعيد !

أما قوله بأن « الأيدى القذرة » هى خير ما أنتج سارتر إحكام صنعة فنية وبراعة حوار وإبداع تسلسل ، فلا أجد فى الرد عليه خيراً من رأى الدكتور طه حسين بك فى هذه المسرحية ، وهى أنها أقل أعمال سارتر الأدبية توفيقاً فى مجال العمل الفنى الذى يقوم عليه بناء التمثيلية الحديثة ، وهو رأى جهر به الدكتور طه — كما قال لى — فى وجه مديرة المسرح الفرنسى الذى مثلت عليه مسرحية سارتر ، يوم أن سمعت إليه السيدة تسأله عن رأيه فى « الأيدى القذرة » . . ومما هو جدير بالذكر أن المحيطين بالدكتور قد حاولوا فى شىء من اللباقة أن يخففوا من وقع رأيه على شعور السيدة الفرنسية ، ولكن صراحته المعهودة أبت إلا أن تؤكد المرة الثانية ما سبق أن أفضى به ، وهو أن هذه المسرحية عمل فنى يعوزه التوفيق !

بين طه حسين وتوفيق الحكيم :

لم يسعدنى الحظ بالاستماع للمحاضرة القيمة التى ألقاها الدكتور طه حسين بك عن « قصة أوديب فى الآداب المختلفة » ، والتى تناول فيها بالنقد والتحليل بعض الأعمال الفنية التى أعقبت أوديب سوفوكل . . ولقد حدث أن خرج بعض المستمعين لمحاضرة الدكتور وقد وقع فى ظنهم أن الأستاذ توفيق الحكيم قد ناله وشاش من التهكم حين جاء ذكر مسرحيته فى سياق الحديث ! هذا ما فهمته من بعض الذين لقيتهم عقب المحاضرة ومما أورده صديقى الأستاذ عباس خضر حين عرض لها فى الأسبوع الماضى بالتلخيص والتعقيب .

ومن العجيب أنه قد وقع فى الظن أيضاً أن علاقات الود والصداقة بين الدكتور والأستاذ الحكيم تجتاز مرحلة من الفتور ، ليس أدل عليها من هذا الذى قيل وتعرض فيه صاحب « أوديب الملك » لشىء من السخرية !

أود أن أؤكد هنا أن كل ما تبادر إلى الأذهان من ظنون لا يستند إلى دعامة واحدة من دعائم الحقيقة ، فعلاقات الود والصداقة لا تزال تربط بين الرجلين بأقوى رباط . . وإذا كان الدكتور طه قد لجأ فى حديثه إلى شىء من العنف أو إلى شىء من القسوة ، فمرجع ذلك إلى صراحته المعهودة التى لا تجامل صديقاً على حساب القيم الفنية والموازين النقدية ، وتلك ناحية أكدها لى الدكتور حين فاتحته فى هذا الأمر منذ أيام . ومما يؤيد هذا القول تلك القصة الطريفة التى أتيت على ذكرها فى الكلمة السابقة ، والتى تمثل بوضوح صراحته السافرة عندما سألته مديرة المسرح الفرنسى عن رأيه فى مسرحية « الأيدى القذرة » ولا أظن أن أحداً يستطيع أن يتهم الدكتور طه بأنه كان يسخر من فن سارتر أو يتهكم عليه . . وإذا كان الأستاذ الحكيم قد تعرض فى ثنايا المحاضرة لشىء من العنف فقد تعرض فولتير لهذه

العبارة القاسية ، وهي أنه في تناوله لقصة سوفوكل قد أسمن في سخف لا يطاق !

لا أدري لم يعد الناس هنا قسوة النقد تهكما وصراحة الناقد سخرية ، ولم يميلون في مثل تلك المواقف إلى الظن بأن بين الناقد والمنقود أسباباً من الجفاء يفسرها الوهم بالتحامل ويردها الخيال إلى محاولة النيل من الأقدار ؟ ! ألا يجدر بنا أن ننظر إلى الأمور من خلال منظار آخر يهيء لنا رؤية الحقائق في جو لا يكتنفه هذا الضباب ؟ إنني أريد أن تتحقق هذه الأمنية في يوم من الأيام !

درس آخر في أدب القصة :

يبدو أنني لن أفرغ من هذه الدروس التي تلقى علي من حين إلى آخر في أدب القصة ؛ فبعد أن عقب أحد الأدباء على ما كتبت حول مسابقة المصور للقصة القصيرة ، وبعد أن رددت عليه بكلمات أعتقد أنها وضعت كل شيء في مكانه ، بعد هذا كله هب « أستاذ » آخر ليمدني بنصائحه ويزودني بمعلوماته وهو الأستاذ نصري عطا الله !

إنني أرحب بأن أكون « تلميذاً » مخلصاً على شرط أن يكون « أساتذتي » على شيء من الصبر والإحاطة ... وأشهد أنني لا أضيق بالتوجيه والإرشاد ولو صدر من أديب لم أسمع به من قبل على شرط أن يكون في توجيهه وإرشاده ما يهديني إلى أشياء تدل على فهمي المتواضع ؛ ولكن الذي أضيق به ، هو أن يتحدث الأستاذ عطا الله عن فن القصة القصيرة بهذه اللهجة التي تذكرني بحالتي الذكر «تين وسانت بيف وأرنولد» ، ثم لا أخرج من كلمته بشيء يمكن أن يدفع بي إلى الصف الأول من صفوف تلاميذه !

ينكر الأستاذ عطا الله أن مجال العمل الفني في القصة القصيرة مجال محدود ، فهل يأذن لي بأن أقدم إليه هذا التعقيب الطريف الذي أدلى به الأستاذ توفيق الحكيم في حديث دار بينه وبيني يوم أن قطعت بهذا الرأي ؟ لقد قال الأستاذ الحكيم: « أنا معك في أن العمل الفني في القصة القصيرة لا يمكن أن يقاس إلى نظيره في القصة الطويلة ، إلا إذا أمكن أن يقاس سباق القطط إلى سباق الخيل ؟ !

ومن العجيب أن الأستاذ عطا الله يحرم على القارئ الشرق أن يحكم على شخصيتي موباسان وتشيكوف لأن ما نقل من آدبهما إلى العربية أقل من القليل ، ومع ذلك فقد أباح لنفسه أن يتحدث عن موباسان وتشيكوف بلهجة تذكرني أيضاً بحالة الذكر بتذكروتشه ... ألم أقل لك إن ما يباح للأساتذة يحرم على التلاميذ ؟!

هذا هو كل ما يستحق التعقيب في مقال الأستاذ عطا الله ... ومعذرة يا « أستاذي » ، فقد علمت من آخر صفحة في عدد « الرسالة » الماضي أنك قد فزت مجازة من جوائز الدرجة الثانية في مباراة القصة القصيرة التي أقامتها وزارة المعارف ؛ ومعنى هذا أن هيئة التحكيم التي لم تقدر فنك كانت أجدر مني بهذا الدرس الفني في أدب القصة !

أين العلوم في الرسالة ؟ :

يسألني الأديب الفاضل الأستاذ عبد المنعم العزيزي في رسالة بعث بها إليّ عن مكان العلوم في « الرسالة » ، مع أنها تحمل هذا الشعار : « مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون » ... ثم يعقب على سؤاله بقوله إن المهتمين بالبحوث العلمية يجب أن يخصص لهم في « الرسالة » بعض الصفحات ، أسوة بشتى النقد والقصة والفلسفة والسياسة والاجتماع ممن تقدم إليهم مجلتنا الرفيعة من أسبوع إلى آخر فنوناً من هذه المعارف المختلفة ... ثم يقول في ختام كلمته إنه يود أن تستجيب « الرسالة » لهذا الرجاء حتى تكتمل لها رسالتها النبلى في خدمة الأدب والعلم والفن ، وخاصة في هذه الأيام التي يقوم فيها العلم بأخطر أدواره في توجيه حياة البشر ورسم الطريق أمام مستقبل الإنسانية !

الواقع أنه لو كان الأمر بيدي لاستجبت لرجاء الأديب الفاضل لأنني أوافقه على هذه الآراء الناضجة ... وكم كنت أود أن يكون لي في رحاب العلم قطرة من فيض العالم الجليل الأستاذ نقولا الحداد ، إذاً لكفيته مؤونة السؤال والرجاء ، ولعل الأستاذ الحداد يحقق يوماً هذه الأمنية ، فيسطر صفحات « الرسالة » بنزير علمه ، بعد أن عطرها بوخز « المخلوقات العجيبة » بسنان قلمه !

أنور المعداوي